الإسلام المنقذ المجيب

سعيد بن محمد آل ثابت

الإسلام المنقذ المجيب

العناصر:

أولاً: التمهيد.

ثانياً: محاسن الإسلام:

وقسمت على ثلاثة عناصر:

الأول: التصورات والمعاني.

الثاني: التشريع.

الثالث: الأخلاق والسلوك.

ثالثًا: التوصيات.

رابعاً: الخاتمة.

أولاً: التمهيد:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، أما بعد،،

بدايةً سنعيش مع هذا الموقف القصير في كلماته، العظيم في ما هيته، ثم ندلف في موضوعنا، (عن محمود بن لبيد، قال: لما قدم أبو الحيسر، أنس بن رافع، مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل، فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجلس إليهم، فقال لهم: «هل لكم في خير مما جئتم له؟» قال: قالوا: وما ذاك؟ قال: «أنا رسول الله إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا، وأنزل عليَّ الكتاب». ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن. قال: فقال إياس بن معاذ – وكان غلاما حدثا –: يا قوم هذا والله خير مما جئتم له. فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ وقال: دعنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير هذا. قال: فصمت إياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج. قال: ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك. قال محمود بن لبيد: فأخبرني من حضرني من قومه أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلما، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس، حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع)[1] .

يا لله لا زالت حروف إياس تعمل عملها في نفسي (يا قوم هذا والله خير مما جئتم له)، متى قالها؟ وفي أي ظرف؟ وتحت أي ضغط؟ كل الظروف من حوله تأمره ألا ينطق ببنت شفة ولو تلميحاً أن يثني على هذا الدين، ومع ذلك لم يكتم ما خالجه في نفسه وما ظهر له من فجر الحق، بل أصر على إسلامه ومات عليه، ولكن من لاحظ الرواية أدرك سر التغيير لدى إياس رضي الله عنه، إنه ما سمعه من رسول الله، يقول الراوي: (ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن)، هذه فقط صححت القبلة لإياس، لما سمع ما قيل عن الإسلام، وسمع شيئاً من القرآن، هكذا إذن يكفل هذا الإسلام هداية الناس بما يحمل من معاني وتصورات، فكيف لو شوهد أهله نماذج عملية لتلك المعاني، ولعلي في هذه العجالة أتعرض لهذا المبدأ المهم في الدعوة والإقناع وهو: عرض الإسلام بمحاسنه وجمالياته، ليجيب عن استشكالات

---

١ رواه أحمد (٢٣٦٦٨)، وقال شعيب الأرناءوط: إسناده حسن. ورواه الحاكم (٤٨٣١)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ورواه الطبراني: المعجم الكبير (٨٠٩)، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية، ج(٣).

المستشكلين، وينقذ أرواح الغارقين، ويثبت يقين المؤمنين، وما ذاك إلا بعد المتغيرات التي أدهشت الناس عن محاسن دينهم وشككتهم في تعاليمه عبر أبواق مستأجرة أو حاقدة تأوي إلى ما شذ من أقوال، وما تردى من أقوام، وما شان من أحوال، فحُكم من خلالها على هذا الدين العظيم فلقت قلوباً قابلة لمثل هذه الاستثناءات والشواذ، لا سيما ومع هزيمتهم الثقافية والحضارية، وسطوة العدو بذلك، فانقلبت رأساً على عقب، وما ذاك إلا بسوء الفهم وضيق الأفق ورقة الدين، وإلا فمن عرف الإسلام كما أراده الله، سيدرك لا محالة أن هذه الأمم المؤمنة به لم تؤمن لأغراض سطحية ولأهواء مؤقتة، بل ساد الدنيا ولا يزال بإذن الله وحتى بشهادة أعدائه بما يحمل من معاني لا يستطيع البشر ولو اجتمعوا تأليفها وجمعها، بل لم يواجهوا حضارة ولا ثقافة أكمل ولا أتم ولا أجمل ولا أوسع من الإسلام، ولذا حتى مع ضعف أهله وفرقتهم لم تخبُ ناره ولم يذهب نوره، والله غالب على أمره لو كره الكافرون.

وقد استقرأ علماء الإسلام هذا الدين، محاولين جمع بعض ما ظهر لهم من محاسن، وما اشتمل عليه من الكمالات؛ لأن حقيقة الأمر أن هذا الدين ما دام منزلًا من عند الله، فلا ريب عند المؤمن بأنه لا نقص فيه بوجه من الوجوه، فهو كامل من كل ناحية، وتام في جميع جوانبه؛ لأن الله –عز وجل– قد رضيه دينًا لعباده المؤمنين إلى قيام الساعة، كما قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]. وقال الحق: "إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ" [آل عمران:١٩]، ومن خلال السبر لبعض الجهود تجاه هذا الموضوع كان منها التالي:

١. كتاب: محاسن الشريعة في فروع الشافعية لأبي بكر المعروف بالقفال الكبير (مطبوع)، وعرضه على شكل ترتيب أبواب الفقه.
٢. كتاب: محاسن الإسلام وشرائع الإسلام لأبي عبدالله محمد بن عبدالرحمن البخاري (مطبوع)، ومثله كسابقه عرضه على ترتيب أبواب الفقه.
٣. كتيب: الدرة المختصرة في محاسن الدين الإسلامي للسعدي (مطبوع)، وفيه عرض شمولي مختصر، وينصح بتدريسه في بدايات مراحل الطلب وفي المدارس، وعرضه على العامة.
٤. كتاب: جمالية الدين معارج القلب إلى حياة الروح لفريد الأنصاري (مطبوع)، وفيه الحديث بأسلوب ممتع وأخاذ عن المعنى الجمالي والروحي والإيماني في الدين.

٥. كتاب: الإسلام بين الشرق والغرب لعلي عزت بيجوفتش (مطبوع)، وفيه عرض بطريقة المقارنة بين الإسلام وغيره.

٦. كتاب: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبو الحسن الندوي(مطبوع)، ومثله كسابقه عرضه بطريقة المقارنة.

٧. محاضرتان: نظرات منهجية في محاسن الإسلام (جزأين) لأحمد السيد، على الشبكة العنكبوتية، ويمتاز بعصرانيته وبعرضه الجميل والشيق والمؤصل.

٨. كتاب: أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي لعبدالله بن محمد آل موسى (مطبوع)، وعرضه بدايةً بالحاجة للإسلام من خلال ما فعلته الأديان والحضارات من خرافة وشذوذ وظلم، ثم تطرق لعوامل نجاح الدعوة من خصائص الكمال والشمول ومراعاة الفطرة وغيرها.

ولعلي في هذه العجالة أشير إلى ذكر بعض محاسن هذا الدين القويم، ثم أختمه ببعض التوصيات العملية، وإن كنت سُبقت لذلك، ولكن الإضافة هنا قد تكون في التقسيم العملي والشمولي للإسلام، لعرض الصورة بوضوح وشمول فتكون زواياها وجمالياتها واضحة ومنقوشة في ذهن المشاهد والمطالع، ولا يشك عاقل أن هذه المهمة ليست بالمهمة السهلة إذ الإسلام بتصوراته وشرائعه لا تكفيها المجلدات، فبابٌ واحد من أبواب الفقه أو الأخلاق لا تكفيه مئات الأوراق لا سيما إذا استنطقناه بالحكمة والمقصد الشرعي، ولكن أرجو الله التوفيق والسداد، والإعانة والرشاد، وأن يعين على هذه المهمة.

ثانياً: محاسن الإسلام:

الأول: التصورات والمعاني:

- من أولى محاسنه الإجابة عن أهم سؤال: من الخالق؟ ولماذا نحن هنا؟ ويرتكز الجواب على أصول عدة، ومنها: أن التعبد لله ضرورة فطرية ونفسية، وموجب ذلك خلق الله الكون وتدبيره يستلزم ضرورة أن يكون الله خالق الكون وأن يكون متصف بصفات توجب أن يكون مستحقاً بأن يخضع الناس له، ومن الأصول أن التدين ملازم للمجتمعات الإسلامية في كل مراحلها، فالإنسان من طبيعته متسائل ومستفهم، وقد أجاب الإسلام عن هذه التساؤلات بما يشفي، ومن الأصول أن التدين مطلب إنساني لا يمكن الاستغناء عنه؛ لحاجة الإنسان إلى التدين في كل أحواله وهي شاملة

للفرد والمجتمع، فالمجتمعات لا يصلح حالها إلا بالدين، وأدلة ذلك كثيرة، ومنها: أن الدين يقدم الإجابة الكافية عن الاسئلة الأولية الوجودية، وأنه يضبط السلوك الإنساني على المستوى الشخصي وعلى مستوى التعامل مع الآخرين، وأنه يفتح الآفاق الجميلة من خلال اللقاء بالله والأنس به ومن خلال اللقاء بالأحباب والمقربين ممن يفقدهم الإنسان في حياته من خلال الظفر بالثواب مما ينزل على الإنسان من المصائب والشدائد، وكذلك من خلال تحقيق العدالة فينتظر المظلوم القصاص بين العالمين من رب العالمين، ومن الأصول عدم التعارض بين الدين الصحيح والعقل الصريح وبالتالي لن يجد المؤمن المعارضات والتناقضات إلا من سوء الفهم للدليل أو عدم ثبوته سواء ما كان من النقل أو من العقل، وإن ديناً هذه ملامحه لا شك أن حاجة النفوس له كحاجتها إلى الهواء فيجيب عن التساؤلات ويشبع الحاجات ويرسم الطريق الصحيح للممارسات الإنسانية، وقبل ذلك بالتعامل مع الله.

- أنه دين جاء مبرهنا على صحة أصوله، ولا يكون ذلك في دين آخر أو تيار أو طائفة، ولا يمكن فهم حقيقة محاسن الإسلام إلا بفهم حقيقة التعبد لله، ولا نختزلها في ممارسات يمثلها أفراد، بل بإدراك عميق للكتاب والسنة، ولا يمكننا إدراك المحاسن حتى ندرك نظرة الإسلام للكون والوجود والتكليف الشرعي، فكثير من الإشكالات نشأت من التجزئة.
- من محاسنه: أنه دين تميز في وضوح العقيدة تجاه الإله وموافقتها للفطرة، وحُكي الإجماع على أن المراد بالفطرة في قوله تعالى: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها... ﴾: الإسلام. واختلفوا في المراد بالفطرة في حديث: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة..." متفق عليه. وقد حكى ابن عبد البر الإجماع في الآية والخلاف في الحديث. والمأثور عن جمع من السلف، وعليه كثير من المحققين أن المراد بالفطرة في الحديث: الإسلام، كما في الآية.
- من محاسن الإسلام: أنه حرر الإنسان من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد؛ فلا يعبد المسلم ولا يسجد ولا يركع ولا يخاف ولا يرجو إلا الله تعالى، فعبادة الله تعالى وإفراده بالتوجه والقصد هو مقصد الإسلام الأعظم، ومداره الأكبر، بل هو العلة من إيجاد الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦].
- ومن محاسن الإسلام: أنه حرر العباد من هيمنة الخرافة والسحر والدجل والكهانة والشعوذة والطيرة والتعلق بغير الله، وغير ذلك من الأساطير الباطلة في الإسلام.

- من المحاسن: أنه دين يدعو إلى إعمال الفكر والعقل والتأمل، وكان باب عقيدته التفكر، وتأمل قول الحق: "قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ"سبأ:٤٦، أرأيت كيف يخاطب الله الكفار؟ بالقيام له، والتفرغ لشأنه، قبل الإيمان به! وذلك حتى يمكنهم الوصول إلى حقيقة الإسلام، الذي هم له منكرون، وقد شرط الله عليهم الشرط عند القيام له، وهو الخلوة به سبحانه! ولكن لماذا التنصيص على الفردية والثنائية؟ ولماذا تحديد الخلوة لتوقيع التفكر؟ والجواب: لأن العقل آلة تلتقط الحقائق وتعقلها، والقلب هو الذي يتخذ القرار، فإذا كان القلب محجوباً بالمادة والكثرة، عجز أن يصل لما يعرض عليه العقل من صور معقولات، فلا يتخذ القرار المناسب في الوقت المناسب٢. وتأمل قول الحق لتذهل من هذه الصورة البانورامية وهي ذات ألوان متحركة وتدعو للتفكر والانتباه لهذا الخلق العظيم: "هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨)[النحل]. ومن المحاسن: تعزيز العلم والدعوة له، عبر كتابين (مسطور ومنظور)، هما القرآن والكون، فهما مدعاة للإيمان واليقين والحضارة والتقدم، في مقابل ما تبنته بعض الأديان من كهنوت ورهبانية وتحريف وتضليل.
- ومن المحاسن: أن الإسلام الذي فتح الله به الشرائع والرسالات السماوية أودع الله فيه عنصر الثبات والخلود وعنصر المرونة والتطور وهذا من روائع الإعجاز في هذا الدين وصلاحيته في كل زمان ومكان. ونستطيع أن نحدد مجال الثبات ومجال المرونة في شريعة الإسلام فنقول إنه:
  - الثبات على الأهداف والغايات والمرونة في الوسائل والأساليب.

---

٢ "جمالية الدين"؛ لفريد الأنصاري، ص:٥٦، بتصرف.

- الثبات على الأصول والكليات والمرونة في الفروع والجزئيات.

ويتجلى هذا الثبات في المصادر الأصلية النصية القطعية للتشريع من كتاب الله وسنة رسول الله فلا يسع مسلماً أن يعرض عنه أو يعترض عليه{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[النور:٥١]، وتتجلى المرونة في المصادر الاجتهادية التي اختلف فقهاء الأمة في مدى الاحتجاج بها مثل: الإجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة وأقوال الصحابة وغير ذلك من طرائق الاستنباط. وأحكام الشريعة نجدها تنقسم إلى قسمين بارزين: قسم يمثل الثبات والخلود، وقسم يمثل المرونة والتطور. فنجد الثبات يتمثل في العقائد الأساسية الخمس:من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والتي ذكرها القرآن{لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ }سورة البقرة:١٧٧،

وفي الأركان العملية الخمسة من الشهادتين وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام وهي التي بني الإسلام عليها. وفي المحرّمات اليقينية: من السحر وقتل النفس والزنا وأكل الربا وأكل مال اليتيم والسرقة وشرب الخمر وغيرها مما يثبت بقطعي القرآن والسنة. وفي أمهات الفضائل من الصدق والأمانة والعفة والصبر والوفاء وغيرها من مكارم الخلاق التي اعتبرها القرآن والسنة من شعب الإيمان. وفي شرائع الإسلام القطعية في شؤون الزواج والطلاق والميراث وغيرها من نظم الإسلام التي ثبت بنصوص قطعية الثبوت والدلالة في أمور ثابتة لا تتغير مهما تغير الزمان والمكان فلا يحق لأحد أن يغيرها ويبدلها مهما كان ومهما بلغ من العلم. ونجد في مقابل ذلك القسم الآخر الذي يتمثل فيه المرونة وهو ما يتعلق بجزئيات الأحكام وفروعها العملية. وعلى ضوء ما ذُكر في الجمع بين الثبات الذي يمنحه الاستقرار فلا يتحول عن أصوله وبين المرونة التي يواجه بها سير الزمن وسنة التطوير فموقف المجتمع المسلم من المجتمعات الأخرى المخالفة له في العقيدة والوجهة أنه لا يذوب فيها ولا يتبع أهوائها ولا يقلدها بما فيما هو من خصائصها وهذه هي التبعية التي يرفضها الإسلام لأمته ومع هذا لا ينعزل المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات بل يستطيع ان يقتبس وينتفع منها بما لديه من معارف وخبرات ومهارات. فعنصر الثبات يتجلى في رفض المجتمع المسلم للعقائد والمبادئ والأفكار التي تقوم عليها المجتمعات الأخرى غي المسلمة، وفي مقابل هذا الثبات

نجد مرونة وسماحة من الناحية العملية والتطبيقية في الحياة مما يتصل بالطرائق والأساليب لا بالمبادئ والأهداف، إذن هو تفاعل بلا ذوبان، وخصوصية بلا إنغلاق.

- من المحاسن: أنه صحح مفهوم الموت، وأصبح لا يشكل خطراً على المؤمن؛ لأنه يمثل الانتقال من مرحلة الكبد إلى مستقر السعادة، والخروج من دار الفناء والإقبال على الله الكريم الرحمن في دار البقاء، ثم لا تُقبل النفس المؤمنة إلا مطمئنة راضية لا تخاف ولا تحزن، بخلاف من عَصَرها (فوبيا الخوف) واخترط سعادتها وربما عاجلها بالانتحار٣.
- من المحاسن: عقيدة الإيمان باليوم الآخر وما فيها من تطمين للمؤمن بالأجر والثواب على ما فاته من مصالح دنياه، وكذلك للمظلوم على انتصاره ولو بعد حين، وكذلك للعاملين على ثواب عملهم. وانظر تأثير عامل الكفر باليوم الآخر على المنكرين والكفار حين كان الموت هو آخر المطافات في حياتهم، فجثم على قلوبهم اليأس والقنوط٤.
- ومنها: عقيدة الإيمان بالقدر خيره وشره وما فيها من ضبط للانفعال تجاه أقدار الله، وتعميق لمعنى الصبر وتهوين البلاء، وما فيها من زيادة الإيمان والرضى بما قسم الله بين خلقه فلا حسد ولا جشع ولا جزع ولا عجز ولا تشاؤم، بل الإيمان والتفاؤل، والفاعلية.
- ومن محاسن الإسلام: أنه أجاب عن كل الإشكالات الواقعة في حياة الناس، ومن ثم سلِم لهم دينهم ويقينهم، ومن ذلك:

١. التفريق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية:

الإرادة الكونية تتعلق فيما وقع، سواءً أحبه الله أم كرهه، وأما الإرادة الشرعية فتتعلق فيما أحبه الله سواءً وقع أم لم يقع، الإرادة الكونية يتعين فيها وقوع المراد، وأما الإرادة الشرعية فلا يتعين فيها وقوع المراد، الإرادة الكونية مرادفة للمشيئة، فما شاءه الله تعالى فقد أراده كوناً وقدرا، أما الإرادة الشرعية فمرادفة للمحبة، فمتعلقها محبوبات الله تعالى. قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٨/٤٧٦): (إرادة الله في كتابه نوعان: نوع بمعنى المشيئة لما خلق كقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾. ونوع بمعنى محبته ورضاه لما أمر به وإن لم يخلقه كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ

---

٣ انظر "جمالية الدين"؛ لفريد الأنصاري، ص:٧٧-٨٨.

٤ انظر "جمالية الدين"؛ لفريد الأنصاري، ص:٦٦.

وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾). وقال ابن القيم في شفاء العليل (١/١٤٢): (فلفظ المشيئة كوني، ولفظ المحبة ديني شرعي، ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية فتكون هي المشيئة، وإرادة دينية فتكون هي المحبة). ومن أمثلة الإرادة الكونية غير ما ذُكر قوله تعالى: {إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون} وقوله: {إن ربك فعالٌ لما يريد}. ومن أمثلة الإرادة الشرعية قوله تعالى: {والله يريد أن يتوب عليكم} وقوله: {يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم...}.

والحاصل أن الإرادتين تجتمعان معا في مثل إيمان المؤمن، وطاعة المطيع، وتنفرد الكونية في مثل كفر الكافر، ومعصية العاصي. وتنفرد الشرعية في مثل إيمان الكافر، وطاعة العاصي اللذين لم يقعا، فهما مرادان شرعاً، لا كوناً وقدرا. قال الشيخ ابن باز رحمه الله في تعليقه على التنبيهات اللطيفة (٤١): (من عرف الفرق بين هاتين الإرادتين سلم من شبهات كثيرة زلَّت فيها أقدام وضَّلت فيها أفهام).

٢. بين المشيئة والقدرة: مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة يجتمعان فيما كان وما سيكون، ويفترقان فيما لم يكن ولا هو كائن، فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ كونه فإنه لا يكون، لعدم مشيئته له، لا لعدم قدرته عليه. قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فعدم اقتتالهم ليس لعدم قدرة الله، ولكن لعدم مشيئته ذلك. ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾، وقوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾٥.

٣. في القدر: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى، فحج آدم موسى) ثلاثا، متفق عليه.

للناس مع هذا الحديث موقفان:

---

٥ [ينظر: الصفدية لابن تيمية (٢/١٠٩-١١٠) ومعارج القبول (٢/٢٣٨) وأعلام السنة المنشورة (١٥١) والقضاء والقدر للأشقر (٣٥)].

الموقف الأول: من فهم منه جواز الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي، وهؤلاء هم القدرية من المعتزلة ومن نحا نحوهم، وكذا الجبرية من الجهمية ومن وافقهم، وقد نتج عن هذا الفهم رأيان فاسدان:

أحدهما: ردُّه وإنكاره وتكذيبه كما فعل أبو علي الجبائي وغيره من المعتزلة القدرية ومن وافقهم، قالوا: لو صح هذا الحديث لبطلت نبوات الأنبياء، فإن القدر إذا كان حجة للعاصي بطل الأمر والنهي، وارتفع الذم والعقاب عمن عصى الله تعالى.

والثاني: قبوله، والاحتجاج به على فعل المعاصي، فجعلوا هذا الحديث عمدة لهم في سقوط الملام عن المخالفين لأمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وإلى هذا ذهبت الجبرية ومن نحا نحوهم من الصوفية وغيرهم.

وأما الموقف الثاني: فهو القطع بعدم جواز الاحتجاج به على فعل المعاصي، وإلى هذا ذهب علماء أهل السنة والجماعة، ولكنهم اختلفوا في تفسير هذا الحديث -بعد قبوله والإيمان به- على عدة أقوال، أصحها اثنان:

الأول: أن موسى عليه السلام لام آدم عليه السلام على المصيبة التي حصلت له وذريته، وهي الإخراج من الجنة والنزول إلى الأرض دار الابتلاء والمحنة، وذلك بسبب فعله وخطيئته، ولذا قال: (أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم) وذكر الذنب تنبيهاً على سبب المصيبة والمحنة التي نالت الذرية، فاحتج عليه آدم بالقدر على المصيبة، والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب، أي: أتلومني على مصيبة قدرت عليَّ وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سنة. وإلى هذا ذهب ابن تيمية وابن القيم، وابن كثير، وابن أبي العز، وابن رجب وابن عثيمين، وغيرهم عليهم رحمة الله.

القول الثاني: أن موسى عليه السلام لام آدم عليه السلام على المعصية لكونها سبب المصيبة، لا لكونها معصية، فإنه يمتنع غاية الامتناع أن يلومه موسى عليه السلام لأجل حق الله تعالى في المعصية، لأن آدم عليه السلام قد تاب منها، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، فلا يجوز لومه، قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٧٩/٨): (لا يجوز لوم التائب باتفاق الناس). فاحتج آدم بالقدر على المعصية لكونه قد تاب منها، والاحتجاج بالقدر على المعصية بعد وقوعها والتوبة منها وترك معاودتها لا محذور فيه، وهذا القول جواب آخر لابن القيم على هذا

الحديث، وكذا الشيخ ابن عثيمين، وبه قال ابن الوزير وعزاه لأهل السنة، وهو ظاهر رواية مسلم، فإنه قال لموسى: (فهل وجدت فيها - أي في التوراة -: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)؟ قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟). قال ابن القيم في شفاء العليل (٥٧/١): (ونكتة المسألة: أن اللوم إذا ارتفع صح الاحتجاج بالقدر، وإذا كان اللوم واقعا فالاحتجاج بالقدر باطل). والحاصل أن آدم عليه السلام لا سبيل إلى لومه شرعاً لأجل التوبة، ولا قدراً لأجل القضاء والقدر٦. وعليه يكون الاحتجاج بالقدر سائغاً في موضعين فحسب: أحدهما: عند المصائب، وهو ما أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله -كما في صحيح مسلم-: (وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان). والثاني: الاحتجاج بالقدر على المعصية بعد التوبة منها، عندما يلام الإنسان عليها، وأما الاحتجاج بالقدر على المعصية تبريراً لها، وتسويغاً لفعلها والاستمرارِ عليها فغير جائز.

٤. الوساوس والشكوك في أمر الخالق جل وعلا:

أورد الذهبي في السير (٣١/١٠) عن الإمام المزني (ت ٢٦٤هـ) -تلميذ الإمام الشافعي- قال: "قلتُ: إن كان أحدٌ يُخرجُ ما في ضميري وما تعلَّق به خاطري من أمرِ التوحيد فالشافعي؛ فصرتُ إليه وهو في مسجد مصر، فلما جثوتُ بين يديه قلت: هجس في ضميري مسألةٌ في التوحيد، فعلمت أن أحدًا لا يعلم علمك، فما الذي عندك؟ فغضب. ثم قال: أتدري أين أنت؟، قلت: نعم. قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون، أَبَلَغَك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالسؤال عن ذلك؟، قلت: لا. قال: هل تكلم فيه الصحابة؟، قلت: لا. قال: تدري كم نجمًا في السماء؟، قلت: لا. قال: فكوكب منها تعرف جنسه، طلوعه، أفوله، ممَّ خُلِقَ؟، قلت: لا .قال: فشيء تراه بعينك من الخَلق لست تعرفه تتكلم في علم خالقه؟!.ثم سألني عن مسألة في الوضوء فأخطأتُ فيها، ففرَّعها على أربعة أوجه، فلم أُصِبْ في شيء منه. فقال: شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات، تدع علمه، وتتكلَّفُ علم الخالق!. إذا هجس في ضميرك ذلك، فارجع إلى قول الله تعالى: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

٦ [ينظر: مجموع الفتاوى (١٠٩/٨، ٣٢١)].

(١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...}الآية ، فاستدِلَّ بالمخلوق على الخالق، ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك، قال: فتُبتُ".

إن الخطرات والوساوس والشكوك قد ترد على قلب المسلم، فإذا كان ذلك في أمر ليس إلى علمه سبيل، فالواجب قطع هذه الوساوس، وعدم الاسترسال معها، والتعوذ من الشيطان، لأنه مصدرها، وقد أ رشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتى يقول له: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله وليَنتَهِ). وفي رواية: (فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله ورُسُلِهِ). وكون الإنسان يتعاظم هذه الوساوس ويضيق بها، فذلك دليل إيمانه وصلاحه، وقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: (أو قد وجدتموه؟) قالوا: نعم، قال: (ذاك صريح الإيمان).فاستعظامهم الحديثَ عما يجدونه في نفوسهم من الوساوس في التوحيد هو صريح الإيمان، وليست الوساوس صريح الإيمان. وتأمل صنيع الإمام المزني تجد أنه على الجادَّةِ في هذا، فلما وُجدت هذه الوساوس في نفسه، استعظمها وضاق بها، وذهب إلى من يراه أعلم أهل زمانه، وسأله بصدق... فأذهب الله عنه ما يجد. وتأمل صنيع الإمام الشافعي مع تلميذه تجده على الجادَّةِ أيضاً، فخوَّفه ابتداءً من عاقبة هذه الوساوس، ثم بين له أن هذا أمرٌ لم يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسؤال عنه، ولم يَخُضْ فيه أصحابه رضوان الله عليهم، فشيءٌ تركوه ولم يخوضوا فيه فخير لنا أن نسلك فيه سبيلهم، ثم احتج عليه بالعقل، فبيَّن له أن من المحسوسات التي يراها لا يدرك كثيراً من أمرها، فكيف بالخالق لها، الذي هو غيب بالنسبة لعباده، ولا سبيل إلى دَرك حقيقته أو الإحاطة به!، ثم أرشد إلى الاشتغال بما ينفعه مما أُمر به، فلا يليق به أن يشتغل بما لم يؤمر به، ولم يكلَّف العلم بحقيقته، مع التقصير في علم ما يحتاج إليه، وكُلِّف العملَ به، وأخيراً أرشده إلى تدبر كتاب الله تعالى وما فيه من الاستدلال على ربوبيته جلَّ وعلا، ومن ذلك دلالة الأثر على المؤثر، والمخلوق على خالقه، وليقفْ عند هذا، ولا ينشغل بما وراءه. وفي هذه الإجابات الشافية الكافية بلسم لكل نزف من شبهة وقلع لكل وسواس يعلق في ذهن المؤمن.

- ومن محاسن الإسلام: المنهج الرباني في مصدريته ووسيلته، فهذا القرآن وحي يتلى حتى قيام الساعة، وهذا رسول الله قدوة يُتبع حتى قيام الساعة، فكان من محاسن الإسلام أن كان رسوله من البشر وابتلاه الله بالعوارض التي تصيب البشر، وكان مثالاً كاملاً لشريعة الإسلام، ثم حفظ الله لهذا الوحي، وبقاؤه صمام أمان وثبات. وفي الحديث: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله"٧. وإن أردت إدراك محاسنه فقارن بينه وبين الجاهلية وبينه بين الديانات الأخرى وتطبيقاتها العملية، ليبرز لك الإسلام في أبهى حلله وأعز معانيه كاملاً شاملاً.
- ومنها: الربانية، ومعناها الانتساب إلى الرب ونقول عن إنسان أنه رباني إذا كان وثيق الصلة بالله عالما بدينه وكتابه معلما له، وفي القرآن الكريم: {وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ}[آل عمران:٧٩]. وتنقسم الربانية إلى أمرين: ربانية الغاية والوجهة. ربانية المصدر والمنهج. ومن ثمراتها تلك التشريعات الربانية (أي أن أساس التشريع ومبادئه من الوحي الإلهي) وهي المزية الأولى للتشريع على ما سواه من التشريعات قديمها وحديثها، فهو التشريع الوحيد في العالم الذي أساسه وحي الله، وكلماته معصومة من الخطأ منزهة عن الظلم، قال سبحانه: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[الأنعام:١١٥]، وبذلك تقرر أن المشرّع الوحيد في أصول الإسلام هو الله تعالى، وها هو القرآن نجده يعقب على كثير من الأحكام والتشريعات ويلفت الأنظار إلى ربانية مصدرها، ومنها تعقيبات قوله تعالى في ختام آية قسم الصدقات من سورة التوبة {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[التوبة:٦٠]، وغيرها من التعقيبات التي كانت تأتي خلف كل حكم أو تشريع شرعه الله عز وجل فهي تنبه وتؤكد على الأصل الذي استمدت منه. ومن ثمرات ربانية المصدر: العصمة من التناقض والتطرف، البراءة من التحيز والهوى، الاحترام وسهولة الانقياد، وأيضاً التحرر من عبودية الإنسان للإنسان، ولذلك نجد القرآن الكريم يوجه نداء إلى أهل الكتاب كافة ليتحرروا من العبودية لغير الله وذلك في قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ

---

٧ قال الألباني: رواه مالك مرسلا والحاكم من حديث ابن عباس وإسناده حسن . وله شاهد من حديث جابر خرجته في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران:٦٤]، وبهذه الآية كان يختم النبي صلى الله عليه وسلم رسائله إلى ملوك النصارى وأمرائهم.

- ومن المحاسن بروز مظاهر الوسطية في رسالة الإسلام: ومن ذلك التوازن بين الروح والمادة أو بين الدين والدنيا. لقد وجد في التاريخ أمم وأفراد كل همهم إشباع الجانب المادي في الإنسان دون الالتفات إلى الجوانب الأخرى: {وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ}[الأنعام:٢٩]، وهذه النزعة المادية المغالية جديرة بأن تولد التكالب على متاع الدنيا والغرور والاستكبار، ونرى ذلك واضحاً فيما قصه الله علينا في القرآن. فها هو صاحب الجنتين يفخر على صاحبه قائلاً: { أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً(٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدا(٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً(٣٦)}[الكهف]. ونتيجة لهذا الغرور والتكبر أرسل الله على جنته حسباناً من السماء فأصبحت صحراء قاحلة وأصبح ماؤها غورا. وكذلك الأمم التي أترفت في الحياة الدنيا قتلها الترف ودمرها التحلل وحقت عليها كلمة العذاب وعن هذا نجد أمثلة كثيرة في القرآن الكريم كما قال الله تعالى: {وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ(١١) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ(١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ(١٣)}[الأنبياء]. وفي الطرف المقابل نجد أفراداً وأمماً نظروا إلى الدنيا نظرة احتقار وعداوة فحرموا على أنفسهم طيبات الحياة وزينتها وبدا ذلك بوضوح وجلا في نظام الرهبانية الذين ابتدعه النصارى.

أما الإسلام قام بين هاتين النزعتين يدعوا إلى التوازن والاعتدال فصحح مفهوم الناس عن حقيقة الإنسان وعن حقيقة الحياة، فالإنسان مخلوق مزدوج الطبيعة يقوم كيانه على المادة والروح وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الطبيعة المزدوجة في خلق الإنسان فقال تعالى: {وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ(٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(٧٢)}[ص]. والحياة ليست سجنا عوقب الإنسان به، إنما هي نعمة يجب أن تشكر ومزرعة لحياة أخرى هي خير وأبقى. والقرآن الكريم يدعو إلى العمل للحياة والاستمتاع بطيباتها مع الحث على الاستعداد للآخرة وذاك بالإيمان والعبادة وحسن الصلة بالله حيث يقول الله تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[الجمعة:١٠]، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يأكل من طيبات هذه الحياة ولا يحرمها على نفسه ولكنه لم يجعلها شغل نفسه

فكان يدعو "اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا" رواه البخاري. وهكذا تعلّم الصحابة أن يوازنوا بين مطالب دنياهم وآخرتهم وأن يعملوا للدنيا كأحسن ما يعمل أهل الدنيا ويعملوا للآخرة كأحسن ما يعمل أهل الآخرة، ولم يشعروا بتعارض بين عملهم لدنياهم بل شعروا بالوحدة والانسجام حيث كانت شعائرهم وواجباتهم الدينية تعطيهم زاداً وشخصية قوية يواصلون بها الكفاح لدنياهم.

- ومن المحاسن: الحرص والندب للعناية بالأسرة وتكوينها بأجود الطرق، ومن ثم المجتمع (وهو ثمرة ذلك المكوّن الصغير)، فيهدف الإسلام إلى تكوين الأسرة الصالحة السعيدة والأسرة الصالحة هي التي تظللها المعاني التي جعلها القرآن الكريم أهداف الحياة الزوجية وثمراتها وهي السكون النفسي والمودة والرحمة، يقول تبارك وتعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[الروم:٢١].

والأسرة الصالحة هي التي تقوم على الدعائم الآتية:

- أن يتم الزواج على التراخي دون الضغط أو إكراه ولا غش من طرف لآخر.
- تبادل الحقوق والواجبات بين الزوجين بالمعروف: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَة}[البقرة:٢٢٨].
- إيجاب المعاشرة بالمعروف دائما وخاصة عند الإحساس بعاطفة الكراهية أو النفرة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}[النساء:١٩].
- تكليف الزوج بالإشراف والمسؤولية عن الأسرة {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ }[النساء:٣٤].
- تكليف الزوجة الإشراف والمسؤولية عن البيت من الداخل "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته....والرجل في أهل بيته راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها" متفق عليه. ويلاحظ في هذه التكليفات مراعاة خصائص الجنسين بما يتلاءم مع وظيفتهما.

- وجوب الرعاية من الأبوين لأولادهم والعدل بينهم، وفي الحديث الصحيح: "اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم".
- وجوب بر الوالدين والإحسان بهما {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا}[الإسراء:٢٣].

وبعد تكوين الأسرة يكون تكوين المجتمع الصالح فيهدف الإسلام إلى تكوين المجتمع الصالح كما هدف إلى الفرد الصالح والأسرة الصالحة، والمجتمع الصالح هو الذي ترتبط أفرده وأسره بقيم الإسلام العليا ويجعلها رسالة حياته ومحور وجوده. ومن أهم الدعائم الإسلامية في هذا المقام هي:

- التجمع على العقيدة: المجتمع الإسلامي ليس مجتمعاً قومياً أو إقليمياً وإنما هو مجتمع عقائدي وعقيدته هي الإسلام.
- تقديس العمل الصالح: سواء كانت صبغته دينية أم دنيوية وهو أصل مقرر معروف اعتبره القرآن ركنا في كل دين مقروناً بالإيمان بالله ولليوم الآخر قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}[البقرة:٦٢].
- الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أصل من أصول الدين، كما قال تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[آل عمران:١٠٤].
- الجهاد في سبيل الله حماية للحق وتثبيتاً للخير وتأميناً للدعوة ومنعاً للفتنة، فالجهاد أصل إسلامي لا ينكره مسلم ولا يجهل منزلته وفضله حيث قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا}[النساء:٧١]، {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ}[الأنفال:٦٠].
- وتثبيت الفضائل الخلقية في شتى جوانب الحياة ونشرها وحمايتها، من عدل وإحسان وبر وصلة وتعاون على البر والتقوى وطهارة القلب من الغل والحسد والرياء والنفاق وحب الدنيا، كلها من الركائز المعنوية التي لا يقوم مجتمع مسلم إلا عليها.

الثاني (من عناصر محاسن الإسلام):

التشريع: أركان الإسلام، الحدود، تكريم الإنسان، الواقعية، السياسة الشرعية، والمناهي والمحرمات:

- أركان الإسلام: وهذه تأملات في أركان الإسلام وما فرضه الله من أحكام وعبادات:

– الصلاة: التي جعلها الله تعالى صلة بينه وبين العبد، تذكر المسلم بربه في اليوم خمس مرات إضافة إلى النوافل التي يؤديها المسلم خلال يومه. ويجد المسلم الحكمة العظيمة في تحديد أوقات الصلوات بما ينظم حياته، حيث إن صلاة الفجر كان وقتها في نهاية الليل وبداية النهار، مما يدعو المسلم إلى التوجه بعد الصلاة إلى مصالحه الدينية والدنيوية، إلى الظهر، وهو وقت طويل وكاف لقضاء كثير من الأعمال، بعد ذلك يعود الناس إلى صلاة الظهر، ثم بعدها يأخذون شيئا من الراحة، ثم تأتي صلاة العصر، وبعدها يبقى وقت يقضي فيه المسلم أعماله السريعة، ثم تأتي صلاة المغرب بعد انتهاء النهار ودخول الليل، ليبدأ الإنسان ليله بذكر الله تعالى، ومن الحكمة الإلهية أن جعل الله الوقت بين المغرب والعشاء يسيراً من أجل أن ينتظر الناس صلاة العشاء، فيدركون الفضل العظيم الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم فيمن انتظر صلاة إلى صلاة فكأنه في صلاة، ثم إنه كان وقت صلاة العشاء أول الليل وبعد المغرب بساعة تقريباً ليعود الإنسان إلى الراحة الليلية من نوم وغير ذلك، ولم يفرض الله تعالى صلاة ولا غير ذلك بعد صلاة العشاء حتى الفجر لئلا يكون في ذلك مشقة على الناس، ولكن من رحمة الله وحكمته أن جعل ذلك الوقت طويلاً جداً ليأخذ المسلم وقتاً كافياً للراحة والنوم، ثم جعل العبادات في ذلك الوقت مستحبة وحث عليها ولكنه لم يوجبها ولم يفرضها، وهكذا الحكمة في الوقت بين الفجر والظهر، فهو وقت طويل جداً يصلح به الإنسان أموره. إن هذا الترتيب يظهر أن الإسلام دين نظام وإتقان، رتب حياة الإنسان على ما يوافق مصالحه.

– الصيام: فرض الصيام على الناس، في العام شهراً كاملاً، وهذا فيه طاعة لله تعالى، وتعود على ترك المألوف، واستفراغ لما في الجسم من مواد فاسدة، لا تزول إلا بالصيام، وقد أثبت الطب الحديث فوائد جليلة للصيام، وهذا لا يعني أن الإنسان عندما يصوم إنما يصوم لأجل صحة البدن، بل هو عبادة قبل كل شيء، ويستفيد المسلم من الطب الحديث فيما يظهر إعجاز الإسلام كدين إلهي عظيم. وسوف يظهر الإعجاز العملي كل يوم فوائد الصيام، والحكمة في تحديده بشهر رمضان، ولماذا كان في العام شهرا واحداً، حتى يعلم الناس أن هذا الشرع من حكيم خبير، بعد أن طغت على الناس ماديات الحياة وزخارفها. إن الصيام عبادة للرب وطهارة للنفس، وسبب في

التكافل والتعاون، وتقديم يد العون للفقير والمسكين، عندما يرى الغني المسلم أنه يجوع ويتعب فيتذكر الفقراء والمحتاجين.

- الزكاة: أما إذا جئنا إلى الزكاة فهي أيضاً من محاسن الإسلام، ومزايا الشريعة، فليس في الأرض نظام نظم هذه الأموال كما نظمها الإسلام. إن نظام المكوس والضرائب التي أثقلت الناس في الأرض ملغاة في شريعة الله تعالى، ولقد وضع الله الزكاة لتكون رحمة للغني والفقير، وليس كالضرائب التي تؤخذ من الفقير والمسكين، أما الزكاة فإنها تؤخذ من الأغنياء وترد على الفقراء، ثم إن أحق الناس بها فقراء البلد التي أخذت منها، فأي نظام يدير الأمور بهذه الطريقة أفضل من نظام الإسلام! لقد انتشر الفقر في كثير من بلدان العالم ومن ذلك بلدان المسلمين، بسبب البعد عن المنهج النبوي في أخذ الزكاة وصرفها.

- الحج إلى البيت الحرام: فهو فريضة قائمة دائمة إلى قيام الساعة، وقد كانت فريضة على من قبلنا. إن حج بيت الله تعالى موسم كبير ومحطة مهمة في تاريخ الأمة وحاضرها ومستقبلها، وهذا البيت العتيق جامعة كبرى وملتقى جماهيري فريد، يجمع المسلمين من أصقاع الأرض، ويوحد بينهم في مشاعرهم وأعمالهم، لا يعرف الغني ولا الفقير، كلهم بلباس واحد، ومواقف محددة، ليس للغني فضل على الفقير في شيء من مناسك الحج ومشاعره، وهذا يظهر أن الإسلام جاء ليساوي بين الناس جميعاً ويلغي طبقات الجهل والجاهلية التي داسها محمد -صلى الله عليه وسلم- بقدميه، إن الناس عند الله تعالى سواء لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى.

إن هذه الأركان العظيمة والركائز المتينة التي لا يقوم الإسلام إلا عليها، جاءت لتجعل من الإنسان مخلوقاً مكرماً لا حيواناً يأكل ويشرب ويتمتع كما تفعل الحيوانات، وإن كل ذلك يظهر محاسن الدين الخالد والشريعة السمحاء التي أعطت كل ذي حق حقه.

- ومن محاسن الإسلام: ما شرعه من إقامة الحدود على المجرمين التي فيها زجر الناس عن الجرأة على المعاصي التي نهى الله – تعالى- عنها، وبذلك حفظ الإسلام الضرورات الخمس (الدين والنفس، والعقل والمال، والنسب والعرض)، وإليك البيان:

- حفظ الدين: ولذا حرم الإسلام الردة وهي الكفر بعد الإسلام بأن يتكلم بكلمة الكفر أو يعتقدها، أو يشك شكّاً يخرجه عن الإسلام، أو يشرك بالله في القول أو الاعتقاد أو العمل، كدعوة غير الله، أو الذبح لغيره، أو التوكل على غيره في جلب نفع أو دفع ضر، أو حصول نصر أو غير ذلك مما لا

يقدر عليه إلا الله وحده، أو يستحل ما حرم الله، أو يحكم بغير ما أنزل الله، أو يترك الصلاة ونحو ذلك من أنواع الردة، وهي تحبط الأعمال، ولحفظ الدين وجب قتل المرتد عن الإسلام لأنه يعتبر جرثومةً ضارة، وعضواً أشل في المجتمع قال صلى الله عليه وسلم: "من بدل دينه فاقتلوه" رواه البخاري وغيره، وذلك ليحفظ على الناس دينهم فيفوزوا بالسعادة الأبدية، وفي ذلك ردع بالغ عن تبديل الدين وإضاعته.

- حفظ النفوس: ولذا حرم الله القتل وسفك الدماء، أعني الدماء المعصومة كدماء المسلمين وأهل الذمة المعاهدين، وتوعد على ذلك بالوعيد الشديد قال الله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}[النساء:٩٣]، لذا فالقتل كبيرة من كبائر الذنوب، وهو أحد السبع المهلكات قال صلى الله عليه وسلم: "اجتنبوا السبع الموبقات"، وذكر منها قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والحق الذي يبيح قتلها هو القصاص "النفس بالنفس"، والزنا بعد الإحصان، والكفر بعد الإسلام. وقال صلى الله عليه وسلم: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" متفق عليه، وقال: "من قتل معاهد لم يرح رائحة الجنة"رواه البخاري، فإذا كان هذا في قتل المعاهد (وهو من أُعطيَ عهداً من اليهود والنصارى) فكيف بقتل المسلم، ولحفظ النفوس واحترامها وجب قتل القاتل عمداً ليأمن الناس على أنفسهم قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى}[البقرة:١٧٨]، وقال تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[البقرة:١٧٩]، أي تنحقن بذلك الدماء، وتنقمع به الأشقياء، لأن من عرف أنه مقتول إذا قتل لا يكاد يقدم على القتل، وإذا رؤي القاتل مقتولاً انذعر بذلك غيره وانزجر، فلو كانت عقوبة القاتل غير القتل لم يحصل انكفاف الشر الذي يحصل بالقتل.

- حفظ العقول: ولذا حرم الله كل مسكر وكل مخدر ومفتر كالخمر والحشيش والأفيون، قال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[المائدة:٩٠]، والخمر ما خامر العقل: أي غطاه بالإسكار سواء كان رطباً أو يابساً، مأكولاً أو مشروباً، وهي أم الخبائث، وجماع الإثم، ومفتاح كل شر، فمن لم يجتنبها فقد عصى الله ورسوله، واستحق العذاب بمعصية الله ورسوله، وسميت أم الخبائث؛ لأن شاربها إذا سكر فعل كل جريمة وهو لا يشعر، وحرم الله الخمر لما اشتملت عليه من المفاسد وتحطيم الشخصية وإطفاء جوهرة

العقل، ولحفظ العقل وجب جلد شارب الخمر؛ ليرتدع الناس عن هذه الجريمة فتبقى عقولهم سليمة ليعقلوا بها عن الله أمره ونهيه فيفوزوا بالسعادة، ويسلموا من الشقاوة.

- حفظ المال: فحرم السرقة وهي أخذ مال الغير المحترم خفية بغير رضاه، وهي من كبائر الذنوب الموجبة لترتب العقوبة الشنيعة وهي قطع اليد؛ حفظاً للأموال، واحتياطاً لها، فيرتدع السراق إذا علموا أنهم سيقطعون إذا سرقوا فيأمن الناس على أموالهم قال الله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[المائدة:٣٨].
- حفظ الأنساب: فحرم الله الزنى ووسائله من النظر المحرم، والكلام المحرم، والسماع المحرم؛ لما في الزنى من انتشار الأمراض، وانتهاك الأعراض، واختلاط الأنساب، فينسب الولد إلى غير أبيه، ويرث من غير أقاربه، فيحصل بذلك من الظلم والمفاسد ما الله به عليم {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}[الإسراء:٣٢]، والنهي عن قربانه أبلغ من مجرد النهي عنه أي لا تحوموا حوله ولا تعملوا الوسائل الموصلة إليه، ولحفظ الأنساب وجب جلد الزاني البكر مئة جلدة مع تغريبه عن بلده الذي واقع فيه الجريمة لمدة لسنة قال تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}[النور:٢]، أي لا ترحموهما في إقامة الحد الذي شرعه، وليحضر الجلد جماعة من الناس ليشتهر ولينزجر الناس، ويرتدعوا عن الزنى[٨].
- وحفظ الإسلام الأعراض من الوقيعة فيها: ولذا حرم الله قذف الأبرياء بالزنى، وتوعد على ذلك بالوعيد الشديد قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ* يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[النور:٢٣،٢٤]، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[النور: ٤، ٥]، بيَّن الله تعالى في هذه الآيات أن من قذف امرأة محصنة حرة عفيفة عن الزنى بأنها قد فعلت الفاحشة فهو ملعون في الدنيا والآخرة، وله عذاب عظيم، وعليه الحد في الدنيا ثمانون جلدة، وتسقط شهادته، وأنه فاسق ساقط العدالة، وفي

---

٨ انظر معالم في العفة؛ لسعيد آل ثابت (بحث منشور في الشبكة).

الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اجتنبوا السبع الموبقات – وذكر منها – قذف المحصنات الغافلات المؤمنات".

وبإقامة هذه الحدود المتقدمة يأمن الناس على دينهم وأنفسهم، وعقولهم وأنسابهم، وأموالهم وأعراضهم، فيرتدع الناس عن هذه الجرائم، ويفوزوا بالسعادة في دينهم ودنياهم وآخرتهم، وهذا بخلاف القوانين الوضعية التي غيرت أحكام الله وحدوده، وقد قال الله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}[المائدة:٤٤]، وقال تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}[المائدة:٥٠]، فما جاءت به الشريعة الإسلامية من الحدود وتنوعها بحسب الجرائم من محاسن الإسلام؛ لأن الجرائم والتعدي على حقوق الله وحقوق عباده من أعظم الظلم الذي يخل بالنظام ويختل به الدين والدنيا.

- ومن المحاسن: تكريم الإنسان وتعزيز مكانته ومراعاة فطرته واحتياجاته بشمول متكامل، ومن نماذج الفطرة السوية حديث: "الفطرةُ خمسٌ ، أو خمسٌ من الفطرةِ : الختانُ ، والاستحدادُ ، ونتفُ الإبطِ ، وتقليمُ الأظفارِ ، وقصُّ الشاربِ" رواه البخاري من حديث ابن عمر ورواه مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً. فتأمل!

وإذا تأملنا الجانب الإنساني في رسالة الإسلام تجد ذلك ظاهراً، فإذا ما تأملنا في العبادات الكبرى وجدنا إحداها إنسانية في جوهرها وهي (الزكاة) فهي تأخذ المال من الغني وتقوم برده إلى الفقير، وكذلك العبادات الأخرى لا تخلو من الجانب الإنساني، فالصلاة هي عون للإنسان في معركة الحياة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[البقرة:١٥٣]، والصوم تربية للإرادة وتربية الإنسان على الصبر وتربية لمشاعره على الإحساس بالآم غيره، والحج دعا الله فيه عباده المؤمنين {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ}[الحج:٢٧]، بالإضافة إلى ما جاء من الأحاديث النبوية الشريفة والتي تحث على البر الإنساني والتواصل الاجتماعي وجعلها عبادة من العبادات فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى إماطة الأذى عن الطريق، وان أُمرك بمعروف صدقة وتبسمك في وجه أخيك صدقة والكلمة الطيبة صدقة. ومن ذلك أنها رسالة للإنسان في كل مراحل حياته ووجوده فهذا مظهر آخر من مظاهر الشمول الإسلامي، فهي تصحبه طفلاً ويافعاً وشاباً وكهلاً وشيخاً وترسم له في كل هذا المراحل المتعاقبة المنهج الأمثل الذي يحبه الله ويرضاه، ولا عجب أن تجد في

الإسلام أحكاماً تتعلق بالمولود منذ ساعة ميلاده مثل التأذين في أذنه واختيار اسم حسن له وغير ذلك. ونجد أحكاماً تتعلق بإرضاع الرضيع ومدته وفصاله وفطامه، وبعد ذلك نجد أحكاماً تتعلق بالجنين من حيث حمايته واستمرار غذائه بمقدار كاف {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى}[الطلاق:٦]، كما نجد في الإسلام أحكاماً أخرى تتعلق بالإنسان بعد موته: من وجوب تغسيله وتكفينه والصلاة عليه وغير ذلك من الأحكام .

- ومن المحاسن في التشريعات: أن الإسلام جاء بشريعة واقعية، حيث لم تغفل الواقع في كل ما أحلت وحرمت ولم تهمل الفرد والأسرة والمجتمع في كل ما وصفته من أنظمة وقوانين ودونك بعض النماذج:

- إن شريعة الإسلام لم تحرم شيئاً يحتاج إليه الإنسان في واقع حياته كما لم تبح له شيئاً يضره في الواقع كالخمر والزنا...الخ .
- وراعت الشريعة فطرة البشر في الميل إلى الترويح عن النفس فرخصت في أنواع من اللهو كالسباق وألعاب الفروسية وغيرها، إذا لم تقترن بقمار ولا تصد عن ذكر الله وعن الصلاة فمثلاً أذن النبي صلى الله عليه وسلم للحبشة أن يلعبوا في مسجده بالحراب وسمح لزوجه عائشة أن تنظر إليهم حتى اكتفت. وكذلك راعت الشريعة فطرة المرأة وواقعها في حب الزينة فأباحت لها بعض ما حرمت على الرجال كالتحلي بالذهب ولبس الحرير.
- ومن واقعية الشريعة: أنها أباحت بعض المحرمات في حالات الضرورة القصوى فمثلاً أباحت أكل لحم الخنزير في حال كان الإنسان في صحراء ولا يجد ما يأكله، فخوفاً من أن يموت أحل له الشرع أن يأكل لحم الخنزير أو الميتة.
- ومن واقعية الشريعة أنها عرفت ضعف الإنسان أمام كثير من المحرمات فسدت الباب إليها بالكلية، ولهذا حرمت قليلها وكثيرها كما في الخمر. كما عدت ما يوصل إلى الحرام حراماً كما في تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية.
- ومن واقعية الشريعة الإسلامية أنها راعت قوة الدوافع الجنسية لدى الإنسان فلم تهملها، كما فعلت بعض الفلسفات، فشرعت إشباع الدوافع الجنسية بطريقة نظيفة، تضمن بقاء الإنسان وارتفاعه عن الحيوانية، يقول الله تعالى: {يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ

وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً (٢٧) يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً (٢٨)} [سورة النساء]. فالمفهوم من وصف الإنسان بالضعيف هو ضعفه أمام الغريزة الجنسية.

- ومن نظرة واقعية للحياة والإنسان كانت إباحة تعدد الزوجات، ولهذا التشريع أسبابه فما دام كل الرجال لا يستطيعون التحكم في غرائزهم فلماذا لا نتيح لهم طريق الزواج الحلال في العلانية بدل البحث عن الحرام في الخفاء. فقد تكون الزوجة الأولى مصابة بمرض يطول أمده أو مبتلية بالعقم...الخ . فإذا كان عدد الصالحات للزواج من النساء أكثر من عدد القدرين عليه من الرجال فهناك ثلاثة احتمالات:

أ – أن تقضي الفتاة عمرها في بيت أهلها عانساً.

ب – أو البحث عن متنفس غير مشروع.

ج – أو الزواج من رجل متزوج، قادر على إحصانها، واقف من العدل بينها وبين ضرتها.

أما الاحتمال الأول: ففيه ظلم كبير لعدد من الناس، أما الاحتمال الثاني: جرم في حق المرأة وفي حق الأخلاق وهو ما سار عليه الغرب، فقد حرم تعدد الزوجات وأباح تعدد العشيقات أي الواقع فرض عليه التعدد ولكنه تعدد لا أخلاقي، أما الاحتمال الثالث: فهو وحده الحل العادل والنظيف والإنساني والأخلاقي وهو الذي جاء به الإسلام.

- ومن واقعية الشريعة الإسلامية إباحتها للطلاق عند تعذر الوفاق بين الزوجين هذا مع تعظيم الإسلام لشأن العلاقة الزوجية حيث جاء بالحديث "أبغض الحلال إلى الله الطلاق" رواه داود، ومع هذا أمر الإسلام الأزواج بالصبر والتريث وعدم الاستجابة لعاطفة الكراهية إن أحسوا بها كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}[النساء:١٩]، كما أن الإسلام لم يطرح الطلاق على أنه الحل الوحيد بل أعطى حلول أخرى قد تكون مفيدة لإعادة المحبة والألفة بين الزوجين فالطلاق هو الحل الأخير بعد أن نأخذ كل الحلول السابقة. ولقد أرغم الواقع المسيحية المعاصرة على الاعتراف بحق الطلاق برغم تحريمها الغليظ في الإنجيل وبهذا انتصرت شريعة الخالق على أوهام الخلق.

- ومن واقعية الشريعة في المجال الاجتماعي والاقتصادي أنها اعترفت بالدافع الفطري الواقعي الأصيل في نفس الإنسان: واقع حق التملك، ولكنها لم تنسى واقعاً آخر هو مصلحة المجتمع وحقوقه وحاجات الفئات الضعيفة من أبنائه فلهذا وضعت حدود ذو قيود على هذه الملكية بقيود شتى: في اكتساب المال وفي التصرف فيه، وأوجبت فيه حقوقاً للناس كالزكاة والصدقات..
- ومن واقعية الشريعة أنها عملت بكل قوة على تطهير المجتمع من أسباب الجريمة وتربية الأفراد على الاستقامة ولكنها لم تكتف بالوازع الأخلاقي وبالتربية وحدهما رغم أهميتهما، فمن الناس من لا يرتدع إلا بعقوبة زاجرة ولا تكفيه الموعظة الحسنة ومن هنا أوجبت الشريعة العقوبات من الحدود والقصاص والتعزير، ولم تذهب إلى ما يذهب إليه الخياليين من الناس من ينادون بإلغاء عقوبة الإعدام إشفاقاً على القاتل المسكين دون أن ينظروا إلى مصيبة المقتول وأهله وإلى أمن المجتمع كله. يقول الله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[البقرة:١٧٩].

ومن واقعية التشريعات مراعاة الطاقة البشرية في العبادات: فجاء الإسلام بعبادات واقعية، فأخذ بعين الاعتبار الطاقة المحدودة للإنسان فلم يكلفه ما يحرجه ويشق عليه {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}[الحج:٧٨]، ولقد راعى واقع الحياة وظروفها الأسرية والاجتماعية والاقتصادية، فلم يطلب من المسلم الانقطاع للعبادة، كالرهبان في الأديار، بل لم يسمح له بالانقطاع لو أراد! وإنما كلف المسلم عبادات محدودة تصله بربه ولا تقطعه عن مجتمعه، وعرف الإسلام طبيعة الملل في الإنسان، فنوعها ولونها بين عبادات بدنية كالصلاة والصيام وأخرى مالية كالزكاة والصدقات وثالثة جامعة بينهما كالحج والعمرة، كما جعل بعضها يومياً كالصلاة وبعضها سنوياً كالصيام والزكاة وبعضها مرة في العمر كالحج، ثم ترك الباب مفتوح لمن أراد مزيداً من الخير فشرع التطوع بنوافل العبادات {فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ}[البقرة:١٨٤]، وراعى الإسلام الظروف الطارئة للإنسان كالسفر والمرض ونحوهما، فشرع الرخص والتخفيضات مثل صلاة المريض قاعداً أو مضطجعاً على جنب، والفطر في رمضان وفطر الشيخ الكبير مع الفدية {يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}[البقرة:١٨٥].

ومن واقعية الإسلام: قاعدة من قواعد الإسلام المهمة وهي: التيسير ورفع الحرج: أما التيسير فهو روح يسري في جسم الشريعة كلها وهذا التيسير مبني على رعاية ضعف الإنسان وضغط الحياة ومتطلباتها عليه، وشارع هذا الدين رؤوف رحيم لا يريد بعباده الإرهاق إنما يريد لهم الخير والسعادة

في الدنيا والآخرة فالقرآن سيرة للتنفيذ والتطبيق ليس فيها تكليف واحد يتجاوز طاقة المكلفين يقول الله تعالى: {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا} [البقرة:٢٨٦]، وقد نفى القرآن كل تعنت وعسر وأثبت التخفيف واليسر، يقول تعالى: {يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}[البقرة:١٨٥].

- ومن المحاسن: ضبط تلك العلاقة بين الراعي والرعية فأكد لكل منهما حقوق وعليه واجبات وفق عدل تام، يضمن للأمة استقرارها وحفظ مواردها، وعدم استغلال القوي للضعيف، فيأمن الجميع على نفسه وأهله ومن ثم مقدراته وثرواته.
- ومن المحاسن: إنك إذا أنعمت النظر في المناهي والمحرمات لا تجدها إلا ذات ضرر أو تؤول إلى مفسدة، وذلك في سائر المحرمات.

الثالث (من عناصر محاسن الإسلام):

الأخلاق والسلوك: والناظر لسعة هذه الشريعة لجميع من عليها يدرك ربانيتها وسعتها ورحمتها، فقد دلت لكل معاني الإحسان مع جميع الخلق حتى الحيوان والنبات، فالوالدان حق، والرحم حق، والزوجة حق، والولد حق، والبنت التي كان وجه أبيها مسوداً حين تحل ضيفة على الدنيا حق، والجار له حق، والمسلم أياً كان له حق، بل والذمي والمعاهد والمستأمن لهم حق، بل وحتى الأسير الذي لم يجف سلاحه من دماء المسلمين له حق، والجن لهم حق فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يأتيه بأحجار يستجمر بها، وقال له: "ولا تأتيني بعظم ولا روثة". ولما سأل أبو هريرة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك عن سرِّ نهيه عن العظم والروثة، قال: "هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد جن نصيبين – ونعم الجن- فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم: أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعاماً" رواه البخاري، والحيوان له حق؛ لأن الإسلام يهدف إلى استمرار الحياة وعمارتها على ما يريد الله عز وجل، وفي الحديث: "فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ". رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة، كل ذلك للحفاظ على مقومات الحياة ولسيرها بالطريق السوي، والمتأمل في شريعتنا الغراء ومقاصدها العظيمة يتأكد لديه مدى عناية الشريعة بالخُلق وإعداد الأجور والفضائل إزاءه، لاسيما وأن الخالق سبحانه يصف رسول الأمة عليه الصلاة والسلام بذلك تشريفاً وتزكيةً، قال سبحانه: "وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ" [القلم:٤]، وهو من وصفته زوجه وصاحبته عائشة رضى الله عنها بـ:"كان خلقُه القرآنَ" صحيح الجامع. ولنتأمل فقط هذه النصوص

لندرك على الأقل حضور هذا المفهوم في ديننا. عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنَّما بُعِثْتُ لأُتمِّمَ صالحَ الأخلاقِ". مجمع الزوائد. وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم لم يَكُنْ فاحشًا ولا مُتَفَحِّشًا، وقال: إن مِن أحبِّكم إليَّ أحسنَكم أخلاقًا". رواه البخاري. وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ المؤمنَ لَيُدرِكُ بخُلقِه درجةَ الصَّائمِ القائمِ". رواه ابن حبان. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" خيرُ الناسِ أحسنُهم خُلُقًا". صحيح الجامع. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعا:" أثقلُ شيءٍ في الميزانِ الخُلقُ الحسَنُ". رواه ابن حبان. وعن أبي أمامه الباهلي رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أنا زعيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنَّةِ لمن ترك المراءَ وإن كان مُحقًّا وأنا زعيمٌ ببيتٍ في وسطِ الجنَّةِ لمن ترك الكذبَ وإن كان مازحًا وأنا زعيمٌ ببيتٍ في أعلى الجنَّةِ لمن حسُن خلُقُه". رواه أبو داود وحسنه الألباني. ومن النصوص كذلك عن أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا تحقرَنَّ من المعروفِ شيئًا، ولو أن تلقَى أخاك بوجهٍ طلِقٍ" رواه مسلم. هذا وقد كانت الأوزار والآثام مرتبة على من أساء خلقه مهما كانت عبادته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجلٌ يا رسولَ اللهِ إنَّ فلانةَ تُكثِرُ من صلاتِها وصدقتِها وصيامِها غيرَ أنَّها تُؤذي جيرانَها بلسانِها، قال: "هي في النَّارِ"، قال: يا رسولَ اللهِ فإنَّ فلانةَ يَذكرُ من قلَّةِ صيامِها وصلاتِها وأنَّها تتصدَّقُ بالأثوارِ من الأقِطِ ولا تُؤذي جيرانَها، قال: :هي في الجنَّةِ". صحيح الترغيب والترهيب. والآن إلى بعض المحاسن:

- من محاسن الإسلام: أنه ساوى بين المسلمين؛ فلا فضل لعربي على عجمي، ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى، وأبطل المعايير الجاهلية التي يتفاخر بها الناس: كالجاه، والمال، والمنصب، والسلطة؛ فقد صح في الحديث أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "إِنَّ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ فَخْرَهُمْ بِرِجَالٍ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عِنْدَ اللهِ مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتَنَ". رواه أحمد من حديث أبي هريرة مرفوعاً وصححه أحمد شاكر.

- ومنها: أنه أمر بالتكافل بين المسلمين؛ فقد صح في الحديث أن رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم قال: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى". رواه مسلم من حديث النعمان بن بشير.
- ومن محاسن الإسلام: أنه أمر ببر الوالدين اللذين هما سبب وجود الولد في هذه الحياة؛ فقد قال تعالى :﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[لقمان: ١٤، ١٥].
- ومنها: أنه نهى عن أذية الجار؛ لما له من أهمية ومكانة، كما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ". رواه أحمد من حديث أبي هريرة، وصححه أحمد شاكر. وهذا عام في كل جار المسلم وغير المسلم، فكيف بالقريب، والرحم؟!
- ومن المحاسن: أنه أمر بالأمر بالمعروف وأمر بالنهي عن المنكر؛ لأن الإسلام يقصد بقاء المجتمعات نظيفة من المنكرات، كما قال تعالى: " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ"[آل عمران: ١١٠]. إنه الدين الذي يأمر أتباعه بالنفع والبذل والعطاء والنصح وأشعرهم بالمسؤولية تجاه من يعولون، فأصبح المسلم كريماً معطاءَ ليس أناني الطباع جشع الصفات، بل كالغيث أينما حل نفع، وكالزهر حيثما كان زان المكان وعطره.
- من المحاسن: أنك تجده قد كتب الإحسان على كل شيء، كما عند مسلم من حديث شداد بن أوس: ثنتانِ حفظتُهما عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ. قال: "إنَّ اللهَ كتب الإحسانَ على كلِّ شيءٍ. فإذا قتلتم فأحسِنُوا القِتْلَةَ. وإذا ذبحتم فأحسِنُوا الذبحَ، وليُحِدَّ أحدُكم شفرتَه، فليُرِحْ ذبيحتَه"، ودعى إلى الرفق فقال رسول الله لعائشة: " يا عائشةُ ! إنَّ اللهَ رفيقٌ يحبُّ الرِّفقَ، ويُعطي على الرِّفقِ ما لا يُعطي على العنفِ، وما لا يُعطِي على ما سواه"رواه مسلم، وندب للتيسير واختيار الأيسر الأفضل فقال النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لما بعثَ معاذًا وأبا موسى إلى اليمنِ: "يَسِّرا ولا تُعَسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا، وتَطَاوَعَا ولا تَخْتَلِفَا"رواه الشيخان، فهل يا ترى سيرى الخلق أرحم وأرفق وأوفق لهم من لك؟!

- من المحاسن: أنه أمر بالإحسان إلى الحيوان، فضلا عن الإنسان؛ لأن الإسلام يهدف إلى استمرار الحياة وعمارتها على ما يريد الله -عز وجل-، ففي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا، قَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْر".رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة.
- ومن محاسن الإسلام: أنه نهى عن الاشتغال بالكذب والخيانة، وأمر بالوفاء بالعقود والعهود، كما قال تعالى :﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [النحل: ٩١، ٩٢]. وفي الحديث أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ ". رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة.
- ومن محاسن الإسلام: أنه أمر بكل ما يزيد الألفة: كالصدقة، والصلة، وبشاشة الوجه، ونهى عن كل ما يزيد الفرقة والشقاق: كالغيبة، والنميمة، وإساءة الظن بالآخرين، والاستهزاء بهم، كما قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾[الحجرات: ١٢].
- ومن المحاسن: أنه أمر بالتجمل والتزين، ولبس الجميل من الثياب، وأمر بالاعتناء بالنفس وتهذيبها، لا كما عند بعض الأديان الباطلة من إهانة النفس وتنجيسها واعتبار ذلك من القربات؛ فقد أمر الله –عز وجل- بأخذ الزينة عند إرادة الوقوف بين يديه في الصلاة، وفي خارجها أيضًا، حيث قال تعالى :﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢]. وكما أن الاعتداد

بالجَمال من محاسن الإسلام فكذلك فهو يدعو للأفضل والأحسن قال سبحانه: "فلينظر أيها أزكى طعاماً"[الكهف:١٩].

- ومن محاسن الإسلام: أنه نهى عن الإسراف والتبذير، واعتبرهما من صفات الشيطان العدو اللدود، حيث قال تعالى :﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقال تعالى :﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].
- إن من محاسن الدين الإسلامي أنه ما حرم شيئًا عليهم إلا عوضهم خيرًا منه، مما يسد مسده ويغني عنه كما بين ذلك ابن القيم في إعلام الموقعين (٢/١١١)، فقال رحمه الله: حرم عليهم الاستقسام بالأزلام، وعوضهم منه دعاء الاستخارة، وحرم عليهم الربا، وعوضهم التجارة الرابحة. وحرم عليهم القمار وعوضهم منه أكل المال بالمسابقة بالخيل والإبل والسهام، وحرم عليهم الحرير، وعوضهم منه أنواع الملابس الفاخرة من الصوف والكتان والقطن، وحرم عليهم شرب المسكرات، وعوضهم عنه بالأشربة اللذيذة والنافعة للروح والبدن، وحرم عليهم الخبائث من المطعومات، وعوضهم عنها بالمطاعم والطيبات.فلله الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون.

ثالثاً: التوصيات:

- تأليف كتابين عن محاسن الإسلام، الأول: مادة علمية شاملة متينة وعصرية في هذا المجال، وتكون مرجعية للخطيب والمربي والداعية، والثاني: كتاب يصلح للتدريس وللمدارسة في المساجد والحلقات القرآنية والبيوت بل والمدارس.
- انتاج مواد سمعية قصيرة تصلح لعامة الناس عن محاسن الإسلام.
- صناعة أفلام قصيرة في كل موضوع من محاسن الإسلام وترجمتها، وتحوي إثبات ونقض، واستثمار (الإعلام الجديد) في نشر مثل هذه الموضوعات.
- برامج حوارية بهذا المسمى (تلفزيونية أو غيرها) لعرض هذه المحاسن ورد الدعاوى المفتراة.
- انتاج أفلام (رسوم متحركة) أو (الجرافيك)، وغيرها من وسائل العصر موجهة للأطفال على وجه الخصوص عن محاسن الإسلام، وتكون بـ(سيناريو) متزن وبنائي لا مهترئ وهزيل.

- انتاج مجموعة من الروايات والقصص لكافة الفئات لعرض هذا المفهوم عبر تلك الحلقات بشكل عقلي مبرهن، وذلك لقرب هذا النوع من الكتابة لأكثر الناس.
- يستعان على هذه المخرجات بعد الله بالمبرزين بهذا الجانب، وعبر إعلان المسابقات في كل مجال، فهناك المرئي والمقروء والسمعي، وهذه تحتاج لجهود مكثفة ومشاركة من المهتمين.

رابعاً: الخاتمة:

دين الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله -عز وجل- لجميع البشر، منذ أن خلق آدم إلى أن تقوم الساعة، وهو دين الأنبياء والمرسلين جميعًا، وهو الدين الذي لا يقبل الله من الإنسان أن يتعبده إلا به، وهو آخر الشرائع التي أنزلها الله -تبارك وتعالى- على خلقه وجاء بها محمد -صلى الله عليه وسلم- من عند ربه، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: ٨٥].

إذن ففهم الدين من خلال أصوله لا من خلال تطبيقات السالكين غاية في تصويب الفهم وإدراك جمالية الدين؛ لأن الظروف المتزامنة مع حياة المسلمين أورثت سلوكيات متباينة بين الجفاء والغلو فأنتجت فهوماً خاطئة، ومن رحمة الله أن منهجي الإسلام (كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم) لم يطالها التغيير ولم ولن يصل إليها الحاقدون مهما كانت محاولاتهم وصولاتهم، فهي باقية كمَعلم يهتدى بهما مهما كان الظلام، قال سبحانه: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[الحجر:٩]، ومن حفظ القرآن حفظ بيانه، وأهله العاملون به، وقال تبارك وتعالى: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}[الأحزاب:٢١]، وهذا الإرشاد يستلزم بقاء نموذجه لآخر مسلم على وجه الأرض، فحري بالمؤمن قاصد اليقين أن يعيد قراءة هذا الدين بشكل شمولي فتكتمل مشاهد الصورة أمامه من غير تشويه أو نقص، ولا ريب أن النظرة كلما كانت سالمة من الضغوط والأجواء المشحونة كلما كانت أنقى وأظهر لجماليات الصورة ومحاسنها.

وكتبه سعيد بن محمد آل ثابت

هذا الكتاب منشور في

شبكة الألوكة

www.alukah.net